أخبار الخليج
العدد (١٧١٧٧) - السنة الخمسون - الخميس ٥ شوال ١٤٤٦هـ - ٣ أبريل ٢٠٢٥م

التطهير العرقي هدف حرب الإبادة الفاشية على غزّة

بقلم:
د. مصطفى البرغوثي ○

رغم عدم وجود خلاف على أن من أهم دوافع نتنياهو لاستئناف حرب الإبادة على قطاع غزّة الحفاظ على حكومته، واسترجاع الفاشي بن غفير إلى صفوفها، وضمان نجاح التصويت على الميزانية في الكنيست الإسرائيلي، فمن الخطأ الاعتقاد أن ذلك هو الدافع الوحيد لخرق إسرائيل اتفاق الهدنة، والتصعيد الخطير الذي تجاوز في وحشيته كل القيود والمحاذير.

ذلك أن الدافع الاستراتيجي الأكبر لاستئناف حرب الإبادة كان من دون شك طموح نتنياهو وحكومته الفاشية إلى تحقيق ما فشلوا في تحقيقه ١٥ شهراً من الحرب الدموية، وهو التطهير العرقي لقطاع غزّة وإبادة أكبر عدد ممكن من سكانه. ويشكل ذلك جوهر الأيديولوجيا الصهيونية الفاشية التي يمثلها نتنياهو، الذي صار يروّج نظرية حسم الصراع مع الشعب الفلسطيني من خلال نسف كل حق له في تقرير المصير وإنشاء دولته المستقلة.

وكل دارس لتاريخ نتنياهو السياسي وفكره الأيديولوجي، بما في ذلك ما كتبه صراحة في كتابيه «مكان تحت الشمس» و«بيبي»، يجد أنه كرّس حياته السياسية لمنع قيام دولة فلسطينية مستقلة، ولتمرير رؤيته بأن فلسطين بأكملها لليهود فقط.

وقد جسّد نتنياهو ذلك في حملته المعروفة ضد إسحاق رابين واتفاق أوسلو، على علاته، حتى انتهى الأمر باغتيال رابين وانتخابه رئيسا للوزراء عام ١٩٩٦. ومنذ تلك اللحظة، كرّس طاقاته لتنفيذ فكره العنصري المتطرّف. وقد بدأ أولاً بنسف كل الاتفاقيات مع الفلسطينيين، وتنفيذ وتوسيع غير مسبوقَين للاستيطان الاستعماري في الضفة الغربية، وبذل كل جهد ممكن لفصل الضفة الغربية عن القدس وقطاع غزّة. ثم مرّر بعنجهية قانون القومية في الكنيست قبل ٧ أكتوبر بسنوات، ومضمونه أن حقّ تقرير المصير على أرض فلسطين محصورٌ باليهود فقط.

ثم سعى، بالتعاون مع ترامب والإدارات الأمريكية، إلى استخدام التطبيع لعزل القضية الفلسطينية وتصفيتها بكل مكوّناتها. وألحق ذلك بقانون آخر في الكنيست، إلى جانب قوانين عديدة أخرى، لمنع قيام دولة فلسطينية مستقلة.

وهو يحاول حاليا، بحربه الدموية في قطاع غزّة والضفة الغربية، معالجة التحدّي الأكبر الذي يواجه الحركة الصهيونية، وهو الوجود الديموغرافي للفلسطينيين على أرض فلسطين بأعداد تفوق عدد اليهود، رغم تهجير ما لا يقل عن سبعة ملايين فلسطيني خارج وطنهم.

وبما أن إسرائيل، بكل مكوّناتها في الحكومة والمعارضة، ترفض قيام دولة فلسطينية مستقلة، وترفض فكرة حل الدولة الديمقراطية الواحدة، فلا يوجد سوى حلّ واحد بالنسبة إلى الفكر الصهيوني، وهو تنفيذ التطهير العرقي أولاً لسكان غزّة، ثم لسكّان الضفة الغربية.

لقد غذّى نتنياهو وأركان الحركة الصهيونية ترامب بهذه الفكرة، حتى تجرّأ وخرج يدعو إليها علناً، رغم علمه أن دعوته إلى طرد سكان غزّة من وطنهم تمثل جريمة حرب، بحسب القانون الدولي. لكن ترامب تراجع عندما رأى صدًا عالميا وعربيا وإسلاميًا لهذه الفكرة، وصمودًا بطوليا للشعب الفلسطيني المتمسك بأرضه. وكان هذا التراجع مصدر قلق لنتنياهو وعتاة الحركة الصهيونية، فبدأوا يصعدون خروقاتهم لاتفاق وقف إطلاق النار، الذي وقعوه ثم تنكروا له، على أمل أن يؤدّي التصعيد إلى استعادة التأييد الأمريكي لفكرة التطهير العرقي للشعب الفلسطيني.

ولعل أخطر الأفكار التي تجسّد هذا التوجه، ما ورد على لسان بعض القادة العسكريين الإسرائيليين، بأنهم سيعيدون احتلال قطاع غزّة بالكامل، وسينشئون أكبر معسكر اعتقال في التاريخ البشري باسم منطقة آمنة مزعومة وصغيرة في قطاع غزّة، ليحشروا فيها مليوني فلسطيني، ويغلقوا أبوابها، ويتحكّموا بمن يخرج منها أو يدخل إليها، ثم يصفوا ويقتلوا كل من بقي خارجها، ويبدأوا بعد ذلك عملية ترحيل تدريجي للقاطنين في معسكر الاعتقال إلى أي مكان يقبل استقبالهم، مدّعين أنه رحيل طوعي للفلسطينيين بعد وضعهم في ظروف إنسانية خانقة وقاتلة.

وما مَن أمر مشين أكثر من الإعلان الأمريكي بدعم ما تنفذه إسرائيل في غزّة من حرب إبادة، ومحاولة تحميل الجانب الفلسطيني المسؤولية عن ذلك، في تكرار صار مستفزا ومملاً لمحاولات تحميل الضحية مسؤولية الجرائم التي تتعرّض لها على يد حكام إسرائيل. وما يثير الاشمئزاز استمرار أطراف غربية كثيرة في دعم إسرائيل، ورفض إدانتها وفرض عقوبات عليها، رغم معرفة هذه الأطراف الدقيقة بارتكاب إسرائيل أكثر من ١٤٠٠ خرق لاتفاقية وقف إطلاق النار، التي وقعت عليها، بما في ذلك قتل ١٧٥ فلسطينيا أثناء وقف إطلاق النار، ورفض تنفيذ ما ورد في الاتفاق منذ بدء التفاوض بشأن تفاصيل المرحلة الثانية، ثم فرض حصار خانق لا سابق له على قطاع غزّة، يمنع دخول أي قطعة خبز أو حبة دواء أو كأس ماء لمليوني إنسان محاصرين في القطاع، وأخيراً البدء بالقصف الجوي الهمجي الشامل والاجتياح البرّي، الذي أودى بحياة مئات الأطفال والنساء والمدنيين العزّل.

ولم تكن إسرائيل لتجرُؤ على ارتكاب كل هذه الآثام، لولا الدعم الأمريكي المطلق والمعلن لجرائمها، ولولا ضعف الموقف العربي والإسلامي والدولي، الذي لم يتجاوز مرحلة البيانات والإدانات، إلى فرض عقوبات حقيقية على إسرائيل، تجبرها على التوقف عن استهانتها بأبسط حقوق الإنسان، واستخفافها الكامل واعتدائها على القانون الدولي والقانون الإنساني الدولي.

هناك وضعٌ خطيرٌ لا سابق له، ليس في قطاع غزّة فحسب، بل في الضفة الغربية أيضاً، ولن يكون علاجه إلا بموقف فلسطيني موحّد، وقيادة وطنية موحّدة على برنامج كفاحي للتصدّي لجرائم التطهير العرقي والإبادة والعقوبات الجماعية، وبموقف عربي وإسلامي ودولي فوري، يهدّد إسرائيل بعقوبات فعلية، ويشعر الولايات المتحدة بأن مصالحها في المنطقة ستكون معرّضة للخطر، ما لم يلجم ترامب نتنياهو مرّة أخرى ويجبره على وقف تصعيده العسكري الخطير، والالتزام بوقف إطلاق نار يؤدي إلى تبادل كامل للأسرى، وإنهاء الحرب، وانسحاب كامل للقوات الإسرائيلية من قطاع غزّة.

ولعل من المفارقات أن الفاشية الصاعدة والحاكمة في إسرائيل بدأت تمزّق البنيان الداخلي لإسرائيل نفسها، بما في ذلك الصراع الذي انفجر بسبب إقالة رئيس الشاباك، رونين بار، ونيّة الحكومة طرد المستشارة القانونية للحكومة، وإعلان نتنياهو رفض تنفيذ قرار المحكمة العليا تجميد قرار فصل بار. وكما توقّعنا، بدأت الفاشية الوحشية الموجهة ضد الشعب الفلسطيني تأكل بنيانها الداخلي نفسه.

○ الأمين العام لحركة
المبادرة الوطنية الفلسطينية

عالم يتغير

عيدنا وعيدهم!

فوزية رشيد

○ في كل عيد والفرحة تعانق القلوب لتجلو عنها غياب الذين فارقونا في الأعوام القليلة الماضية، لأنها تدعونا إلى حفظ الذاكرة حتى لا ننسى، ويقول لنا العيد إن الحياة مستمرة، وهناك من يرحل وهناك من يبقى بانتظار الرحيل، ولكأن لعبة الحياة والموت متجذرة في كل تفاصيل حياتنا، فيأتي العيد لندرك أن الفرحة هي أيضا جزء أصيل فينا بغض النظر عن أي ألم أو حزن أو مكابدة! ولذلك نتواصل مع أهلنا وعائلتنا وأصدقائنا، ونبذر في دواخلنا بذور بهجة هي عنوان لأعيادنا، فتلتف القلوب حول بعضها وكأنها تشد أزر المحبة التي هي عنوان آخر لقيمة استمرار الحياة، التي تعيد ترتيب أوراقها في موعدها مع أصوات الأطفال الفرحة وهم لا يدركون الأغاني التي تقطن قلوب الكبار المليئة بمواويل ما تراكم فيها من أبجديات الحزن أو الأسى على فراق أمهات أو آباء أو أصدقاء، فبراءة الطفولة هي التي تملأ الحياة بأغانيها الجديدة وبهجتها، خاصة في المناسبات الأجمل كالعيد.

○ نحن الكبار صادف أن تكون أحد أكثر المواويل حزنا في قلوبنا هو مرور عيدين، وهناك في غزة من يتجاسر على الحياة تحت القصف والموت والحصار والتجويع، وحتى لو أردنا أن نغفل قليلا عما يحدث إلا أن الزمن الذي وضع فاصلا بين عيدنا وعيدهم يعيدنا إلى جنون ما يحدث وانفلاته عن أي منطق، ويحفر شروخا في إنسانيتنا ونحن نرى يوم العيد جثث أطفال كانوا قبل قليل يلعبون فرحين بملابس العيد، فإذا بها تتحول تحت القصف إلى ملابس دامية وأشلاء داهمها الغياب والموت الوحشي، وهم ببراءتهم أرادوا مجرد الفرح بالعيد بين الأنقاض! إن كنا نملك قلوبا فحتما تلك الطرقات التي يتغدى ركامها بلحم ودم الأطفال الأبرياء والمدنيين تجعل فرحنا بعيدنا مأسورا بحكايات الألم والأوجاع التي يعايشها هؤلاء طوال أكثر من عام ونصف، بينها عيدان ولا تستثني تلك الحكايات صراخ من عاش من أهاليهم ليحملوا تلك الأشلاء والأجساد الممزقة يوم العيد إلى المكان الذي يبقى فيه الموت مستيقظا طوال الوقت وهو يحصد الأرواح بوحشية عدو يتقصد القتل في كل حين، سواء في رمضان والناس تصوم وتصلي رغم جوعها أو في العيد والأطفال ينتزعون ببراءتهم فرحة صغيرة كمن ينتزع من فم الدمار قليلا من الحياة!

○ هكذا هو عيدنا وهكذا هو عيدهم! ويشاركهم في أنقاض الأماكن التي فارقتها الحياة مشاهد من السودان أو اليمن أو سوريا أو لبنان أو الضفة الغربية أو.. فهناك من يمد يده باحثا عن عناق أخير لأحبة فارقوا الحياة تحت جنون الحروب، ولكأن الأرض ترتوي بحكايات الوحشية التي تشاغب أهداب الأحياء وهم لا يعرفون حتى في العيد إن كانوا من الباقين أو الراحلين! خرائط الدمار تتسع وتوخز القلوب في الضفة الأخرى التي لا تملك إلا الدعاء لأولئك الذين عيدهم بطعم آخر ومذاق آخر عنوانه عذابات الحروب!

○ وفيما نحن نمارس طقوس عيدنا تتجه عيوننا في الوقت ذاته رغما عنا إلى خرائط الأماكن القريبة منّا حيث في العيون توق لمجرد أن يكون عيدهم يحمل شيئا من السكينة والهدوء بعيدا عن عواصف الدمار التي تلاحق حتى أفراحهم الصغيرة في يوم هو العيد للجميع!

لكأننا نسمع التنهيدات الحزينة وهي تداعب ابتسامة الأطفال، حيث مطلبهم الوحيد في مثل هذه المناسبة أن يكون وقتا بدون موت أو قصف أو وحشية تعجز عن حكاياتها أساطير الخيال القديمة! ومن استطاع أن ينجو يتجاسر مرة بعد أخرى محاولا لململة الضوء في فتيل الأمل فلعل وعسى أن يضيء لهم ما تبقى من حياة!

هكذا عيدنا بحضوره وبهجته يختلط بعيدهم بغيابه وعبء الحرب التي لا تبقي على شيء! وكنا نتمنى كالعام الماضي أن تسدل الحرب ستائرها إلى غير رجعة، ولكن الشرَّ المتربص بأمن وأمان شعوبنا يعدنا بالمزيد من المخاوف لاتساع رقعة الحروب لا توقفها في المنطقة! وهو ما يجعلنا نشعر أن العيد رغم ضرورة البهجة فيه، فإنه مجرد لحظة عابرة في ساعة الزمن الذي امتلأ حتى آخره برماد الذاكرة والأحداث المتلاحقة ومخاوف الناس من القادم! ومع ذلك فهو يحمل في داخله أملا بأن دورات الحياة لا تتوقف مهما طال أمدها في محطة واحدة، مما يجعلنا نحلم بعيد واحد يجمع كل شعوبنا بالفرحة التي تمتلئ بابتسامات الصغار والكبار معا من دون أن تفرّقها فواصل أي حزن بين عيدنا وعيدهم!

مستقبل الصين وروسيا في الشرق الأوسط: الوضع الراهن وآفاق المستقبل

بقلم:
د. مأمون أبو رعد ○

أظهرت الأحداث الأخيرة التي يشهدها العالم أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تعمل من أجل الحفاظ على النظام العالمي، ولا تهتم بالقضايا العالمية بقدر الاهتمام بمصالحها الذاتية الضيقة. في المقابل، لم تعد طموحات الصين أو روسيا الاتحادية طموحات أيديولوجية أو تتركز في إعادة البعث للشيوعية، لكن بكين تسعى إلى التصرف بمسؤولية دولية من خلال إظهار الحكمة في إدارة الأزمات والاهتمام بالمجالات البشرية، مثل الصحة ومواجهة الفقر والبنية التحتية.

إذا قدر للصين أن تتولى قيادة العالم، فستكون الدولة الأولى غير الديمقراطية التي لا تتحدث الإنجليزية التي تتولى زمام الأمور العالمية، ما يطرح تساؤلات عن الأسباب وراء إعادة تشكيل النظام العالمي وملامح النظام العالمي الجديد وسبل المواجهة بين القطب الحالي والقطب المحتمل وسلوك الأقطاب في الشرق الأوسط وما يمكن أن يحمله التنافس القطبي من فرص وما يفرضه من تحديات وتداعيات، في ظل كون الشرق الأوسط إقليمًا استثنائيا على نحو جعل بكين تتحاشي طويلا التدخل في أموره بشكل كامل لفترات طويلة، واقتصر تدخلها على بعض النواحي الاقتصادية أو التدخل كوسيط نزيه مثلما حدث في التوسط بين السعودية وإيران. أما روسيا، فإن تدخلها يعتمد بشكل أساسي على القوة العسكرية التي تمتلك فيها ميزة نسبية، وأيضًا خبرات تاريخية.

موقع الصين وروسيا في الساحة العالمية:

هناك نظرة مشتركة بين البلدين تجاه النظام العالمي، وهو أن كلاً منهما محاصر بمجال نفوذ أمريكي مباشر من خلال تايوان وأوكرانيا. وتمتلك معظم الدول المجاورة للصين وروسيا علاقات استراتيجية مع الولايات المتحدة الأمريكية. على الرغم من ذلك، فإن واشنطن بات لديها هواجس تبعث على القلق من بكين، حيث تملك الصين أقوى قوة عسكرية برية في العالم، وهي صاحبة ثاني أكبر ميزانية عسكرية في العالم، وتملك ثالث أكبر قوة جوية في العالم، وتقوم بتطوير طائرات متقدمة بتكنولوجيا محلية لأغراض الدفاع المحلي والتصدير، وتقوم بتطوير سلاحها البحري بسرعة فائقة، ونجحت في إنتاج حاملة طائرات محلية، وأرسلت سفينة إلى سطح القمر مصنوعة بتكنولوجيا محلية، فضلاً عن ذلك، بدأت تسعى لإقامة قواعد عسكرية في الخارج (مثل قاعدة جيبوتي)، كما تتوسع في الحصول على تسهيلات في الكثير من الموانئ العالمية، وامتلكت شركاتها حصصًا في أكثر من ثلاثة عشر ميناء في أوروبا، وأنشأت العديد من الجزر الصناعية في بحر الصين الجنوبي للتحكم في حركة الملاحة. إضافة إلى ذلك، تتبنى الصين استراتيجية اقتصادية توسعية لربط الصين بالعالم من خلال مبادرة «الحزام والطريق»، وتملك نفوذا متزايدًا في سوق المنتجات التكنولوجية المتقدمة في مجالات الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، والطاقة الشمسية، والسيارات وأجهزة الذكاء الاصطناعي وغيرها.

على صعيد آخر، تعمل روسيا على تعزيز وجودها العسكري في ليبيا بعد أن كرست وجودها في سوريا، من خلال زيادة شحنات القوات والمعدات العسكرية إلى ليبيا، ما يرسخ نفوذها الذي يمكن أن يؤثر في تدفقات الهجرة نحو أوروبا. فالوجود الروسي في ليبيا الذي أصبح ملموسا منذ عام ٢٠١٩ متمثلا في عناصر الشركات العسكرية الخاصة، ولا سيما شركة فاجنر الروسية، شهد تسارعًا مفاجئا منذ بداية عام ٢٠٢٤. وأكد فريق تحقيق دولي معني بالشبكات الروسية في إفريقيا أن نقل المعدات والمركبات العسكرية من سوريا إلى ليبيا يشكل الجانب الأكثر وضوحًا لهذا التدخل المتزايد. وأن هناك الآن أكثر من ١٨٠٠ روسي منتشرين في جميع أنحاء ليبيا، فضلا عن أن سفينتي إنزال تابعتين للبحرية الروسية غادرتا قاعدة طرطوس البحرية السورية ووصلتا إلى ميناء طبرق في ٨ أبريل ٢٠٢٤.

فرص وتحديات

بشكل عام، لا تحمل بكين وكذلك موسكو، وهي تدير علاقاتها مع دول الشرق الأوسط، أي أعباء استعمارية سابقة، الأمر الذي يمهد أمامها الطريق لإقامة علاقات متوازنة من خلال حل الأزمات، وليس إشعالها، وأيضا القيام بدور الشريك النزيه، ما يساعد على إحداث تنمية اقتصادية بالمنطقة. وقد حدد الرئيس الصيني شي جين بينج طريقة تعامل بلاده مع الشرق الأوسط، حيث ذكر أنها تلتزم بتحديد سياستها واتخاذ إجراءاتها مع الشرق الأوسط بناء على الحقائق عن القضايا نفسها، وانطلاقًا من المصلحة الأساسية لشعوب المنطقة، وأن بكين تعمل على النصح بالتصالح والحث على التفاوض ولا تقوم بتنصيب الوكلاء.

يتيح التقدم التكنولوجي الصيني، في مجالات عدة، فرصًا هائلة للشرق الأوسط للتغلب على الفجوة التكنولوجية التي أوجدتها الولايات المتحدة الأمريكية ولم تعمل على معالجتها. هناك تعاون صيني مع العديد من دول المنطقة في هذا المجال، مثل التعاون مع شركة «سابك» السعودية باستثمارات تبلغ أكثر من ستة مليارات دولار. وتسعى الصين إلى تحقيق الاستقرار في الشرق الأوسط، وترى أن أنشطة روسيا بالوكالة تتعارض مع مصالحها الاقتصادية. لهذا السبب، وعلى الرغم من التعاون المكثف بين البلدين في معارضة الأنشطة العسكرية والسياسية للغرب في الشرق الأوسط، وجدت بكين وموسكو نفسيهما على طرفي نقيض في قضايا أخرى، مثل الموقف من الملف اليمني. وتبنت الصين أيضًا نهج عدم الانحياز تجاه الصراع في ليبيا، على عكس روسيا التي عززت وجودها العسكري في شرق ليبيا عن طريق نشر قوات فاجنر.

يمكن أن يصبح التنافس بين الصين وروسيا على مبيعات الأسلحة مصدرا للمنافسة بين البلدين في المستقبل، إذ تعد الصين رابع مصدر للأسلحة في العالم (بعد الولايات المتحدة وروسيا وفرنسا). كما أن موسكو وبكين تتمتعان بخبرة في تصدير الأسلحة إلى الشرق الأوسط على الرغم من أن روسيا تتصدر تلك السوق بفارق كبير.

من أهم التحديات أن منطقة الشرق الأوسط لا تزال حكرًا على الولايات المتحدة في ملفات كثيرة، من خلال تقديم الدعم والمعونات العسكرية، وإدارة النزاعات والصراعات وسعي بعض دول المنطقة إلى توقيع اتفاقات أمنية مشتركة، وأيضا من خلال وجود نحو ٤٢ ألف جندي أمريكي بالمنطقة و١٧ قاعدة جوية و٨ قواعد بحرية. من ثم، فإن الدورين الصيني والروسي لن يكونا بديلين، ولكنه يظل خيارا يقدم شروطًا أفضل في بعض الملفات، خاصة الاقتصادية والتنموية.

محددات المستقبل:

إن سياسة التحالفات والأقطاب والتوازنات التي حرصت الولايات المتحدة على تثبيتها، بحيث تحافظ على موقعها الأحادي من خلال عسكرة المنطقة وربط أمن دولها السياسي وقرارها بالمصالح الاستراتيجية الأمريكية، يمكن أن يستبدل بها مسعى صيني - روسي يهدف إلى دفع المنطقة إلى التكامل وتسوية خلافاتها بالطرق السلمية. فالنظام العالمي الذي تهدف بكين وموسكو إلى إرساء قواعده يوازن بين القرار السيادي للدول والمصالح الاقتصادية ضمن إطار سياسة الاعتماد المتبادل والمنفعة المشتركة.

عندئذ، تكون من أهم التداعيات تقليل حدة الصراعات بالمنطقة، ويمكن أخذ الدور الصيني في عودة العلاقات السعودية الإيرانية كمثال في هذا السياق.

إن اتخاذ دول الشرق الأوسط قرارها بتوسيع دائرة الخيارات التي يتم التعامل معها في النظام الدولي ليشمل الصين وروسيا، سيؤدى بالضرورة إلى حدوث تعارض في المصالح وتقاطع في السياسات مع الولايات المتحدة، بما سيؤثر في منظومة العلاقات وحالة الاستقرار بالمنطقة. وفي الواقع أن زيادة تقارب الصين وروسيا مع دول الشرق الأوسط يرجع إلى سياسة الولايات المتحدة، بداية منذ عهد أوباما، القائمة على مبدأ الانخراط المحدود في الشرق الأوسط، أو القيادة من الخلف.

لكن، الملاحظ أن ترامب يسعى في فترته الرئاسية الثانية إلى تعزيز انخراطه في منطقة الشرق الأوسط باعتبارها من الأصول الاستراتيجية الأهم بالنسبة إلى الولايات المتحدة، ولا سيما تعزيز العلاقات مع الدول الرئيسية المنتجة للنفط في الخليج. فمستقبل الصين وروسيا في الشرق الأوسط يظل مرهونًا برؤية القيادة الأمريكية للشرق الأوسط للإبقاء على مكانة ومصالح وتحالفات واشنطن في الشرق الأوسط، أم نجد قيادة تدير ظهرها بالكامل للمنطقة وتفتح باب المنافسة وربما الإحلال على مصراعيه؟

○ أستاذ مساعد بقسم العلوم الاجتماعية
كلية الآداب - جامعة البحرين

هل هناك تناقض في خطاب الإدارة الأمريكية؟!

بقلم:
د. أحمد رفيق عوض ○

منذ أن دخل دونالد ترامب البيت الأبيض وهو يتحفنا بتصريحاته العدائية حينا، والأقل عدوانية حينًا آخر، والمتفهمة في أحيان أخرى، فمن التهجير الكامل وبناء الريفيرا إلى التنازل عن الفكرة ثم العودة إليها ثم تحسينها أو تسويقها أو فرضها أو بيعها للاحتلال الاسرائيلي الذي تلقفها وأسرع إلى تشكيل هيئة للطرد أسماها التهجير الطوعي، وكأن هناك فرقًا بين الطوعي والإكراهي، ولكن لا بد من تلك اللفتات الإنسانية المثيرة للضحك التي يلجأ إليها المحتل عادة. فمن يسمع ترامب يتحدث عن غزة ودمارها ومعاناة سكانها وضرورة نقلهم إلى أماكن جميلة وآمنة يشعر أن الرجل يشبه بابا الفاتيكان، ولكن هذا «البابا» لا يستطيع ولا يجسر إطلاقاً أن يقول من المسبب لتلك المشاهد الكارثية.

هذا التناقض في تصريحات ترامب أو ما قد يفسر على أنه اضطراب أو تناقض انتقل أيضاً إلى تصريحات وزير الخارجية ماركو روبيو الذي ظهر في مقابلة تلفزيونية وهو يرسم صليبا على جبهته في إعلان صريح لتوجهاته التطهيرية والمتطرفة أيضاً في إعلان سافر وواضح عن انتقال العلمانية الأمريكية إلى ليبرالية دينية متوحشة تريد مصادرة العالم أو إصلاحه أو ارتهانه لرؤية معينة، وظهر التناقض أيضاً في تصريحات آدم بوهلر الذي أزيح بقوة اللوبيات الخفية والعلنية بعد تصريحاته المثيرة والجديدة والصادمة، وظهر التناقض كذلك في تصريحات المتحدثة الصحفية باسم البيت الأبيض في محاولاتها المستمرة للتفسير أو التبرير إلا في حالة دعم إسرائيل في حربها الثانية على قطاع غزة المدمر، وظهر التناقض أيضاً في تصريحات ستيف ويتكوف المبعوث الموثوق لدونالد ترامب، فهل هناك تناقض حقاً في أقوال وتصريحات الإدارة الأمريكية؟!

برأيي فإن ما يبدو وكأنه تناقض للوهلة الأولى، إنما هو انعكاس لجدل اللوبيات الصهيونية واليهودية من جهة، وبين مطامع ورغبات ترامب من جهة أخرى، بمعنى أن هذه اللوبيات ليست متفقة فيما بينها على خيارات نتنياهو واليمين الحاخامي التوراتي عموماً.

إذ ان هناك أطرافا كبيرة في هذه اللوبيات لا تدعم إسرائيل الحاخامية التوراتية وتعتقد أنها تؤدي بها إلى الدمار كما حدث ذلك في الماضي البعيد، فيما توجد أطراف أخرى تريد إسرائيل علمانية وديمقراطية ومقبولة لدى الغرب الاستعماري.

بمعنى آخر، فإن نتنياهو ليس هو العنوان الذي تلتقي عليه جميع المكونات في هذه اللوبيات، لهذا تجد اتفاقاً كاملاً حول دعم إسرائيل وأمنها واستقرارها وسيطرتها على الإقليم، ولكن هذا الدعم لا يعني إعطاء نتنياهو كل ما يريد أو كل ما يطلب، هذا من جهة، أما من جهة أخرى، فإن ما يطمح إليه ترامب ومطامعه أيضاً تتمثل في حل هذا الصراع جزئياً أو كلياً بأسرع ما يمكن من خلال البناء على إنجازه الأول وهو توسيع نطاق التطبيع، ولا يمكن لهذا الاتجاه أن يستمر أو يتواصل إذا بقي نتنياهو بهذه العدوانية وهذه التدميرية، لا يمكن تسويق هذا التوجه من دون حل للقضية الفلسطينية أو على الأقل رسم ملامح فعلية وحقيقية لهذا الحل.

لا يمكن للدول العربية أن تقبل نصراً نهائيا إسرائيلياً في الإقليم وأن تقبل إلغاءً للدولة والشعب الفلسطيني، أو على الأقل فإن هذه الدول مستعدة لقبول وتسويق وربما فرض تسوية على الفلسطينيين بدعم أمريكي وأوروبي لا تتضمن تهجيراً أو تجاوزاً للحقوق الفلسطينية، ويبدو أن ترامب يدرك هذا جيداً، هو يريد إسرائيل قوية، ولكن يعرف أن مصالح أمريكا لا تحفظ فقط من قبل إسرائيل، وأن أزمات أمريكا لا تحلها إسرائيل فقط، بل على العكس فإن إسرائيل تستنزف المال والجهد وحتى القيم الأمريكية، وهذا ما أخذ الشارع الأمريكي يتحدث عنه علنا.

لهذا كان الحوار الأمريكي مع حركة حماس، وتغير موقف الإدارة الأمريكية من الخطة العربية بشكل ما والمطالبة بتطوير وإصلاح السلطة الفلسطينية للمهام المستحدثة، ولهذا أيضاً كانت تصريحات ستيف ويتكوف، وهي تصريحات تفتح الأبواب كلها وتضع الخيارات كلها وتقول الشيء ونقيضه، لأن الإدارة الامريكية تدرك أن حكومة نتنياهو بهذا التطرف وهذه العدوانية قد تدمر الرؤية النهائية للإدارة الأمريكية.

البيت الأبيض يريد لإسرائيل أن تنتصر بالتأكيد، لكنها تريد لترامب أن ينتصر أيضاً، البيت الأبيض يريد أن يخفض من سقوف المطالب للشعب الفلسطيني لتصبح مجرد البحث عن رغيف خبز، ويريد أن يسوق لسلام منقوص مع العالم العربي يقوم على التطبيع، ولكنه أيضا يريد أن يحقق مصالحه الاقتصادية والأمنية أيضاً. يريد البيت الأبيض أن يجعل من منطقتنا منطقة نفوذ كامل في مواجهة الأعداء الكبار، يريد أن يضمن أنظمته وشعوبه وممراته وثرواته وهدوءه. أيضاً، وحتى يضمن البيت الأبيض كل ذلك، لا بد له من التوصل إلى حل سريع ما للصراع في فلسطين، ترامب قد يخدم إسرائيل لألف سبب وسبب ولكنه في نهاية الأمر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وقد لا نفهم -نحن العرب والمسلمين- لماذا يتصرف رئيس إمبراطورية عظمى بهذه الطريقة مع إسرائيل، ولكن ترامب بالتأكيد لديه التبريرات والذرائع الاستراتيجية والعقائدية التي تجعله منتخباً ومدعوماً من أكثر من نصف سكان الولايات المتحدة ليفعل ما يفعل. أخيراً، التناقض الظاهري في الخطاب الأمريكي هو خلافات في زوايا النظر وليس على المشهد، خلافات في المسالك وليس على الأهداف، خلافات حول الأشخاص وليس على المواضيع.

ما يبدو وكأنه تناقض للوهلة الأولى إنما هو انعكاس لجدل اللوبيات الصهيونية واليهودية من جهة، وبين مطامع ورغبات ترامب من جهة أخرى، بمعنى أن هذه اللوبيات ليست متفقة فيما بينها على خيارات نتنياهو واليمين الحاخامي التوراتي عموماً.

○ رئيس مركز الدراسات
المستقبلية - جامعة القدس